وَهَا نَحْنُ فِي الْأَحْسَادِ يَشْقَى أَخُو الشَّقَا وَيُسْعَدُ فِيهَا مَنْ لَهُ اللهُ أَسْعَدَا ١
يُبَايِنُ هٰذَا فِعْلُ هٰذَا تَنَاقُضًا ، وَيُصْلِحُ هٰذَا مَالَهُ زَالَ أَفْسَدَا ٢
وَيُحْمَدُ زَيْدٌ مَالَهُ عَمْرٌو مُضَرِّمٌ ، وَيُضْرَمُ عَمْرٌو مَالَهُ زَيْدٌ أَخْمَدَا ٣
وَذَا فَائِتٌ فِي مَذْهَبِ الْحَيِّ سَالِكٌ وَذَا نَاسِكٌ يَهْدِي تُقًى وَتَوَدُّدَا ٤
وَعِزٌّ وَذُلٌّ وَافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ ، وَجَهْلٌ وَعِلْمٌ رُقْعَةٌ يَنْفِي الصَّدَى ٥

ثُمَّ تَجْتَمِعُ فِي النِّهَايَةِ بِلَحْقِ كُلِّ عُنْصُرٍ بِعُنْصُرِهِ وَكُلِّ جِنْسٍ بِجِنْسِهِ وَلَا بُدَّ مِنْ تَغَلُّبِ الْجَانِبِ الْوَاحِدِ عَلَى الْآخَرِ نَسْأَلُ الرُّشْدَ وَالتَّوْفِيقَ لِأَقْوَمِ الطَّرِيقِ

١ الشَّقَا وَالشِّدَّةُ وَالْعُسْرُ وَنَقِيضُ السَّعَادَةِ . وَاسْعَدَهُ اللهُ جَعَلَهُ سَعِيدًا ٢ يُبَايِنُهُ يُخَالِفُهُ . وَالتَّنَاقُضُ التَّخَالُفُ وَالتَّضَادُّ أَيْ إِبْطَالُ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ بِالْآخَرِ . وَأَصْلَحَ الشَّيْءَ ضِدُّ أَفْسَدَهُ . وَالصَّلَاحُ سُلُوكُ طَرِيقِ الْهُدَى وَقِيلَ هُوَ اسْتِقَامَةُ الْحَالِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ وَالْفَسَادُ ضِدُّهُ

٣ اَحْمَدَ النَّاسُ كَسَّنَ لَهُمَا . وَاضْرَمَهَا اَوْقَدَهَا وَاشْعَلَهَا . وَالْمَعْنَى اَنَّ مَا يُرِيدُ الْاَوَّلُ فِعْلَهُ يُرِيدُ الثَّانِي اِبْطَالَهُ ٤ الْفَائِتُ فَاعِلٌ مِنْ فَتَكَ فُلَانٌ فِي الْحَرْبِ بَالَغَ فِيهَا وَاتْبَكَ مَا دَعَتْهُ نَفْسُهُ اِلَيْهِ وَفَتَكَ زَيْدٌ بِفُلَانٍ بَطَشَ بِهِ اَوْ قَتَلَهُ عَلَى غَفْلَةٍ وَالْفَاتِكُ اَيْضًا الْجَرِيءُ الشُّجَاعُ . وَمَذْهَبُ الْغَيِّ هُوَ طَرِيقُ الضَّلَالِ . وَسَلَكَ فِيهِ تَتَبَّعَهُ . وَالنَّاسِكُ الْعَابِدُ الْمُتَرَهِّدُ وَالَّذِي يَصْرِفُ اَوْقَاتَهُ فِي الْقُنُوتِ وَالْعِبَادَةِ . وَالتُّقَى جَمْعُ تُقْوَى الْاِحْتِرَازُ بِطَاعَةِ اللهِ عَنْ عُقُوبَتِهِ . وَالتَّوَدُّدُ التَّحَبُّبُ وَطَلَبُ الْوُدِّ ٥ الثَّرْوَةُ الْغِنَى . وَالنَّقْعُ مَصْدَرٌ مِنْ نَقَعَ الْمَاءُ الْعَطَشَ سَكَّنَهُ وَقَطَعَهُ . وَيَنْفِي يُزِيلُ . وَالصَّدَى الْعَطَشُ . عَبَّرَ بِاَلْفَاظِ هٰذَا الْبَيْتِ وَاَضْدَادِهَا عَنْ اَحْوَالِ الْعَالَمِ حَالَ جَهْلِهِمْ فِي كَرَاهِيَتِهِمْ وَجَهَالَتِهِمْ مُشِيرًا فِي الْاَبْيَاتِ السَّابِقَةِ اِلَى اخْتِلَافِ اَطْوَارِهِمْ

اِلَى اَنْ تَرَى مِنْكَ اللَّطِيفُ مُفَارِقًا ، كَثِيفًا بِهِ قَدْ كَانَ اَضْحَى مُقَيَّدَا ١
هُنَاكَ يَعُودُ الْجِنْسُ طَالِبَ جِنْسِهِ ، فَمِنْهُمْ بِمَضْيٍ مُنَافِيهِ مُنْجِدَا ٢
فَاَرْضِيَّةٌ مَا يَبْتَغِي مَعَ الْاَرْضِ مَاكِثًا ، وَعُلْوِيَّةٌ مَا يَبْتَغِي السَّمَوَاتِ مَصْعَدَا ٣

وَاَوْطَانِهِمْ وَفَخَارِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَاَقْوَالِهِمْ وَاَفْعَالِهِمْ كَمَا لَهُ مَعْلُومٌ

١ اللَّطِيفُ عِبَارَةٌ عَنِ الرُّوحِ . وَالْكَثِيفُ عِبَارَةٌ عَنِ الْجِسْمِ . وَالْمُقَيَّدُ هُنَا الْمَحْبُوسُ وَالْمُرَادُ بِهِ اللَّطِيفُ . وَالضَّمِيرُ فِيهِ يَرْجِعُ اِلَى الْكَثِيفِ وَلَفْظَةُ اَضْحَى مَوْضُوعَةٌ حَشْوًا لِاَفَادَةِ اَنَّهَا الْاِتْمَامُ الْوَزْنِ فِي الْبَيْتِ وَاللهُ اَعْلَمُ ٢ هُنَاكَ اَيْ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ وَهُوَ لَحْظَةُ الْكِبْرِيَاءِ وَالرَّجْعَةِ الزَّهْرَاءِ . وَالْجِنْسُ بِمَعْنَى الْعُنْصُرِ وَالْاَصْلِ . وَالْمُتَهَّمُ فَاعِلٌ مِنْ اَتْهَمَ الرَّجُلُ اِلَى تِهَامَةَ وَهِيَ بِلَادٌ مُنْخَفِضَةٌ شَمَالِيَّ الْحِجَازِ . وَيَمْضِي يَذْهَبُ . وَمُنَافِيهِ مُخَالِفُهُ . وَالْمُنْجِدُ فَاعِلٌ مِنْ اَنْجَدَ الرَّجُلُ اِلَى نَجْدٍ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ مَا خَالَفَ الْغَوْرَ اَيِ تِهَامَةَ . وَالْمُرَادُ بِالْمُتَّهَمِ الْاَدْنَى وَبِالْمُنْجِدِ الْاَعْلَى كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَتِهِ الزَّبِيدِيَّةِ فَغَارَ فِي الضَّحَاكِ وَاَنْجَدَ اَيْ خَفَضَ رَأْسَهُ فِي الضَّحِكِ مَرَّةً وَرَفَعَهُ اُخْرَى . وَقَوْلُهُ فَمِنْهُمْ مُتَّهِمٌ لِلتَّبْعِيضِ . وَنُصِبَ مُنْجِدٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ مُنَافِيهِ . وَمُنَافِيهِ فَاعِلُ يَمْضِي . يَعْنِي اَنَّ النَّاسَ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ فَرِيقَانِ فَمِنْ بَاقٍ فِي الْحَضِيضِ الْاَدْنَى وَمِنْ رَاقٍ اِلَى الْحَضِيضِ الرَّفِيقِ الْاَعْلَى وَاللهُ اَعْلَمُ

٢ الْاَرْضِيُّ نِسْبَةٌ اِلَى الْاَرْضِ كِنَايَةٌ عَنْ اَهْلِ الطِّينَةِ الْخَبِيثَةِ . وَالْمَاكِثُ فَاعِلُ مَكَثَ بِالْمَكَانِ اَقَامَ فِيهِ وَلَبِثَ . وَالْعُلْوِيُّ نِسْبَةٌ اِلَى الْعُلُوِّ كِنَايَةٌ عَنْ اَهْلِ الطِّينَةِ الطَّيِّبَةِ . وَيَبْغِي يَطْلُبُ . وَالْمَصْعَدُ الِارْتِقَاءُ وَالْعُرُوجُ . وَالْبَيْتُ بِمَعْنَى الَّذِي قَبْلَهُ وَاضِحٌ

Copyright © King Saud University